شيبا

« قلب المرأة تيه » (١)

(بقلم زاك) (٢)

ما طلع الفجر لثلاث مضين من شهر شبط (ابريل) حتى ضجّت مدينة سنجاد من أعمال الهند. وكان اهلها قد برحوا مساكنهم جماعات واخذوا في الطرق جيئة وذهاباً كأنما ألمّ بالمدينة امر يعلم الله خطره. وكان الرجال قد خلعوا ساذلهم وارتدوا صيتهم وكان كلهم يشير في سكون او يتحدث في صياح. وكان النسوة قد تجلين على غير عادتهن وتأوّدن في مشيتهن وغلائلهن في إزرهن ثم تجالسن بعضهن الى بعض في الطرق واندفعن في الحديث معاً في صوت كأنه هديل الحمام تارة وقوقأة الدجاج اخرى. وأما غلماتهن فكان بعضهم يعبثون بشيخ ضرير قد نزع عمامته وقاذف بها في الفضاء ومن ناتف شاربه ومن لاوٍ بلحيته ومن هامس في اذنه: ما أبصرك! ومن صارخ في وجهه: ما أقذرك! وكان لمح غيرهم عجوزاً متسوّلة قطعاء تلو سورة من سُوَر كتاب براها فما لبثوا أن طاروا اليها واجتذبوها من أطمارها وشغلوها عن السؤال بغليظ مداعبتهم .... وكأنك بالصبية إن يصروا عاهة ينكروها فيتعازوا عليها ويتخذوها هزوءا وعزيز عليك أن تبسط لهم أن في الحياة غير ما تمهده حداثتهم

وكان اهل المدينة متفرقين كل وطبقته. فكان جماعة الخاصة راكبين في مواليهم وناظرين الى من دونهم في كبر وأنفة وعلى جباههم سيمات الترف والعجرفة وفي تثاؤب قسماتها نزعة الى الشهوة والقسوة شأن عيون القوم في جميع الامصار حتى نشوء مبدإ المساواة وما وراءه من مذاهب اشتراكية. وكان أهل الطبقة الثانية بين تجار وصناع ورجالاً مع سعة حالهم. وأما أهل الطبقة الثالثة فكانوا ينظرون وقوفاً الى جماعات الطبقتين بمؤخر عيونهم نظرة الذليل حيناً والمبغض حيناً آخر. والسبب في ذلك أن الناس كانوا يسترقونهم ثم يعدونهم انجاساً فيفرّون منهم ويتشاءمون بهم. وكان

---

(١) Le cœur d'une femme est un labyrinthe (٢) كبير كتاب فرنسا الاجتماعيين في القرن التاسع عشر

اولئك القوم الاخياس من عمان ومزارعين وعبيد مسكينين الناس مع حقدهم عليهم وتوعدهم لهم

ثم ان اهل القرى كانوا قد حضروا المدينة عراة الاجسام الا سوآتها وكان معظمهم يقودون نيقاً او يسوقون بقراً وكان غيرهم حاملين جلود النمور والاسود او متأبطين بعض الطيور الدواجن علّهم يستبدلونها بما هو انفع لهم. وكانت تلوح على وجوههم علامات التعجب مما حولهم ودلائل الحذر من المدينة لعلمهم أن لها أسراراً بعيدة عن اذهانهم

وبينما الناس كذلك والطرق غاصة بهم والفضاء مرجّ بصيحات الرجال وجلبة النساء وغناين وأصوات الحيوانات على اختلاف انواعها اذا كوكبة من الفرسان يهلون عند مفرق كل طريق فيخرج من بينهم منادٍ غليظ العنق ينفخ في بوق لهُ عظيم أن اصيل اليوم موعد الحكم على شطرهان «المهرجان». وكان هذا الخبر مستطيراً في المدينة وفي القرى من قبل ان يعلنهُ المنادون ويتفوا به

واي الرجال كان شطرهان هذا وقد ضجّت مدينة سنجباد من أجله منذ مطلع الفجر وقام اهلها وقعدوا على الشكل الذي رأيت؟ كان شطرهان ابن رجل صالح مُتصوّف وكان جيل الوجه وضيع الخُلُق كامل العقل مجتهداً في الادب طيباً بارعاً في صناعته. وكان قد أقبل على خدمة ملك سنجباد من صغر سنّه. وكان الملك يقال لهُ جُيْلباغ وكان من أحفاد دبشليم الملك بطل كتاب «كليلة ودمنة». وكان جيلباغ قد خبر شطرهان فآنس منهُ امانةً وصدقاً فارتضاه واصطفاهُ وما زال يتعهده برعايته حتى جعلهُ عُمدتَهُ وثقتَهُ

على أنهُ اتفق ان خرج جيلباغ في طلب الصيد ذات يوم راكباً فعثر به جواده فسقط لوجهه ميتاً. فخلفتهُ ابنته وكان يقال لها هيدا فحرصت على شطرهان ووكلت اليه سياسة سلطانها. إلاّ ان الرجل ما شمخ بأنفه قط مع جلالة شأنه فما عسى ان يكون الذنب الذي جرّه؟ أأفسد هو في الارض ام عبث بالرعية؟ هل انشقّ عن دينه ام استخف بالبراهمة ووضع من مكانتهم؟ اعصى امر ملكته ام راود احدى جليساتها عن نفسها؟ أغدر وطنهُ ام ولّى ظهرهُ العدو ساعة القتال؟ كلاّ ولكنما شطرهان كان خيّراً حاكماً بالعدل بين الناس ساهراً على امر الرعية ورعاً مطرقاً للبراهمة معظماً الى تعاليمهم وكان أوجه الناس عند ملكته واكرمهم عليها وانزلهم عند

حكمها وكان قاصر الطرف عن جليساتها اجلالاً لها ثم انه كان فارساً شديد البأس غيوراً على وطنه . . . . فما عسى ان يكون إذاً الذنب الذي جرّه ؟ ؟

***

كانت هيدا تحبُّ شطرهان الحب الجمّ . غير انها كانت قبيحة منخرطة الجسم مع عرض عند الكتفين . وكانت خيفة الطويّة عسرة الطبع قد زاد في سوء خُلقها دمامة هيئتها . وكانت تغالي أيّما مغالاة في حالَيِ الحب والبغض . على انها كاشفت شطرهان بأمر حبها فما عبأ به . والويل كل الويل لرجلٍ يتهاون بامرأةٍ تحب لهُ قلبها ونفسها شغفاً به

الاّ انّ هيدا عزمت على استهواء وزيرها وكانت من اولئك النساء اللاتي لا يتحوَّلنَ عن أمرٍ يلتمسْنهُ حتى يظفرن به مهما بعُد ذلك الامر من ممكن ولكنها لم تبلغ ما كان في نفسها فبدا لها أن تستعين على وزيرها بمن أوتوا علم السحر فأنفذت الى أطولهم باعاً أنْ هيّئوا لهُ شراباً وأسقوه إياه ولا تألوا جهداً في التوصل بأسباب الرقية في معالجة أمره حتى ينقاد لي . ففعل السحرة ولم يزل شطرهان على نفوره من الملكة وإعراضه عنها . فقام في نفس هيدا أن وراء الامر سرًّا مكتوماً فأمرت وصيفةً لها بالتنقيب عنهُ

وكان يقال لهذه الوصيفة سُراكا وكانت من قبيلة تورا وهي من أخبث قبائل الهنود عنصراً . وكانت سراكا كريهة البزّة عرجاء وطبيعي أن تتخذ المرأة القبيحة وصيفةً أشدَّ منها قبحاً . وكانت سراكا امرأة سوء ودهاء . ولكنها كانت مخلصة للملكتها فجدَّت في التحص عن دخلة الوزير حتى اتصل بها انهُ شديد الكلف بابنة رأس البراهمة . وكانت فتاة ذات جمالٍ وعفاف ولين جانب

وما عتمّت سراكا أن رفعت ذات صباح الخبر الى مولاتها فغضبت لهُ هيدا وامتلأت غيظاً ثم خلت الى وصيفتها . فتشاورتا في الامر حتى أجمعا على أن يراوغا المهرجاه أو يستلبا

وعند الاصيل انطلقت سراكا الى شطرهان لتمكر به وتدفعهُ عن حب ابنة رأس البراهمة الى حب الملكة . فلما أتتهُ أخذت في ذكر الحديث حتى تظاهرت لهُ بالاهتمام بأمره ثم همست اليهِ : قد شاع خبرك فاشتهرت حبيبك في النساء فأقسم أبوها على أن

ينتقم لها منك . فضحك شطرهان ضحكة المستخف بالخبر لعلمه ان رأس البراهمة لن يعنمه ابنته إن هو خطبها اليه . فانصرفت سراكا عن هذا الباب وطرقت باباً آخر فلانت للوزير في كلامها وهي تستعويه بالمال وتعده بالعرش رجاء أن يحقق أماني مولاتها ؛ ولكن شطرهان ما برح مصراً على الاباء مع ثقته بأن أمر حياته طوع يد الملكة وأنه إن عصاها ولج في عصيانها لا شك منته الى سوء العاقبة . ولكنها كانت نهُ طبيعة تتطلب الحب المتبادل وتغتبط به ونفس روحانية ترغب عن الماديات وكان تصوف أبيه أثر عظيم في كيان روحه

على أن سراكا لما رأته متمنعاً كل هذا التمنع ورأت حيلها قد تفندت عدلت عن الوعد والتأمين الى الوعيد والارهاب فطفقت تنذره باسم الملكة بألوان العذاب وتتوعده بصنوف التهلكة فقال لها شطرهان: ويلك كيف للملكة ان تقضي فيَّ ما توعدينني به؟ قالت: أتعجز الملكة عنك؟ ثم انصرفت بارقة راعدة

أما شطرهان فعاد الى نفسه وجعل يفكر في الامر كيف انقلب عليه فلم يرَ منهُ مخرجاً سوى استعطافه الملكة لعلها ترثي لهُ فقصد اليها واستأذن عليها فأذنت لهُ فسجد بين يديها وقال لها : إن مولاتي أيدها براها اختصتني بنعمة لم أكن ورأس أبيها حقيقاً بها . فغطت هيدا أنهُ جاءها مستعطفاً فخشيت ألاَّ تقدر على ردّه لشدة كلفها به فغطت عليه الكلام وقالت لهُ في لهجة عنيفة تظاهراً بالقسوة والحق : إن وصيفتي بلغتك الامر فان رأيتك فاجلس اليَّ وإلاَّ فصيرك السجن . قال شطرهان مغضباً : لك الحكم المطلق على العبيد دون غيرهم فحقدت عليه مقالتهُ وصرفتهُ ساخطةً وهي لم تكن تعلم أن الحب لا يستكره ولا يجرع كما تجرع العقاقير وانهُ غير منقاد للقوة واليأس . فوهمت أن في استطاعتها ان تأمر به كأنها تتقدم الى قائد جيوشها بغزو بلد من البلاد أو وصيفة من وصائفها بتهيئة حمَّامها . على انهُ فتها انها لو خلت الرجل وشأنهُ لربما مال اليها مختاراً . غير أن طبعها الجبار ووصيفتها الداهية وروح عصرها الطاغي حملتها على اتباع هذه الخطة العرجاء

ثم ان الملكة ما لبثت ان دفعت الى قاضي المدينة شطرهان متجنياً عليه انهُ غدر بها وحاول خلعها . فأمر القاضي بسجنه من دون أن يحقق ما اتهم به لأن الملكة أرادت أن يسجن وهل تنازع ارادة الملوك ؟ فقضى شطرهان تسعة أيام في السجن وهو يقلب رأيهُ أيستسلم للملكة أم يثبت على حبه . وكانت الملكة ترسل اليه سراكا كل يوم

لتفقد شؤونه وكانت من فرط حبها تأتيه مستخفية وتنظر اليه من كوة السجن مستبكية مع حياء طبعها . ثم إنها انفذت اليه في مساء اليوم التاسع فلما مثل بين يديها جعلت تبصره عاقبة عناده وتحلف انها لا تريد له إلا الخير وكان الذي دفعها الى مثل هذا التواضع انها شعرت بأن وزيرها اخذ يقضها فرأعها الأمر لأنها كانت راضية باعراضه وأما على احتمال بغضه فلم تكن قادرة . فسعت سعيها في استمالته ثانية وان صغرت نفسها اليه . فان المرأة العاشق قلما تعدل عما فيه جذب عشيقها أو ارضاؤه أو الاحتفاظ به مهما كلفها ذلك

الا ان شطرهان ابى الاباء كله لا من أجل حبه فقط بل لأنه كان حاملاً على الملكة اذلالها له لأنفة وحقد كانا متأصلين في طبيعته الهندية . ولما لم تبلغ هيدا ما أرادت من شطرهان ردته الى السجن يائسة بعد ما طوت حبها بين جوانحها طيًّا لا يقوى على مثله إلا النفوس الغليظة الحاقدة. ثم انها عزمت فجأة ان تعزي الحكم على وزيرها في أصيل اليوم التالي فذاع الخبر في انحاء المدينة والقرى على ما مرّ بك في مستهل القصة

***

انعقد المجلس المنتدب للحكم على شطرهان في اليوم المضروب في قصر تعاقبت السنون عليه فزدنه في روعته وجلاله . وكان يزين ظاهر القصر أحجار يعلوها صور ورسوم بارزات في الوان شتى بين مؤتلفة ومتنافرة . وكان داخل القصر قاعة فسيحة الارجاء في جنباتها عُمُد خشب منصوبة يشد بعضها الى بعض عمد خشب أفقية .وكان قد نقش على تلك العمد تهاويل وهيئات ومناظر تدل على دقة في البحث عن مشاهد الطبيعة ومظاهر الحياة مع افراط في الخيال وعناية بتصوير الأمر الخارق . وكان في تلك القاعة عدة منافذ وكان عند كل منفذ باب ضخم يكسوه من أعلاه الى أسفله رموز دينية وآي براهمانية وصور حيوانات حقيقية ووهمية . وكان في جوانب القاعة محاريب تضم بين زاويتيها دُمًى وكان بعض تلك الدمى يشف عن الفن اليوناني والبعض الآخر عن الذوق (١) الفارسي . وذلك انه كثيراً ما أتت القوافل الهند بصناع بلاد اليونان وفارس

وكان في صدر القاعة تمثال عظيم لبراهما له رأسان واربع ايد واثنا أقدام وكأنما

(١) الغالب في ظني انه لم يأت الذوق بهذا المعنى عند العرب ولكن تعذر ما اتى به وكتبي

اراد ماثره ان يجعل لالوهيته علامات شاذة عن علامات البشر فأمسك عن الصدق في التصوير وركب رأسه في الخيال حتى غلا فيه

وكان الحكام قد جلسوا تحت هذا التمثال العظيم جلوس القاضي في عيدنا وفوق رأسه آية شريفة او صليب مقدّس. وكان رئيس المجلس وجلا كهلا رزينا أدهم عظيم الانف والأذنين . وكان كبير منجمي المدينة ومن أذهب الناس بنفسه على كل احد ومن أسرعهم الى الشرّ . وكان متوعداً لشطرهان حاسداً عليه رفعة منزلته في القصر ولطف مكانته في قلب الملكة

وكانت الملكة قد استوت على عرش مرتفع المسند منخفض المقعد مذهّب الاطراف مكسوّ بالقطيفة والسندس . وكان شطرهان مستنداً الى عمود من العمد المنتصبة ومن حوله جماعة من الحرّاس

وكان الناس يدخلون القصر تباعاً . فلما استقرت بهم القاعة أومأت هيدا الى رئيس المجلس أنْ قف وتكلم . فنهض الرجل وهتف باسم الملكة استفتاحاً ثم نادى بأعلى صوته: « ايها الجمع ان الملكة مكّن براها سلطانها قد ركنت الى شطرهان المهرجان منذ اليوم الذي عَلَت فيه العرش . على انها رفعتهُ الى الوزارة وجعلت شأنه وجلبت لهُ الخير ما استطاعت . ثم انهُ صحّ اليوم عندها أن شطرهان اضاع ذمتها وحرّض الشعب عليها طمعاً في الملك ... ذلك ما صحّ عند الملكة دام عزها وانتم تعلمون أنّ ما يصح عند الملكة يصحّ عندنا لانها مولاتنا ولانها معصومة من الخطإ والخطل . والآن فليجادل المهرجان إن شاء عن نفسه والرأي اليه ان يفحص عن جرمه ويقرّ به ويتوب منهُ مع العلم أن امرهُ مقضيّ فيه مهما صنع اللهم إن لم تعفُ الملكة عنهُ »

فلما فرغ رئيس المجلس من كلامه وقف شطرهان كاسف الوجه منقبض الصدر وأدار على الجضور عينين ينبعث منهما روح التمرد على العالم والاستهانة بأهله ولاسيما عن يملكون فيه ثمّ ما تمّ ان نادى والحنق ملء شدقيه: « ايها الحكام امثلي يحاول ان يخلع الملكة جعلت فداها وقد ولدت بباب قصرها وشببت في ظله وعظمت بين اركانه ؟ أعلى يدي يدبر الشعب مكيدتهُ ؟ أمثلي يحل حبل عصيانه ؟ لعمري لو فعل لضربت اعناق أفراده كبيرهم وصغيرهم . ولقد رُميت بجريمة لا يسعني في ديني أن آتيها ولا يخلق بي في همتي . فاتقوا ربكم في أمري أيها الحكام إن كنتم من الاخيار فكلكم عالم أني رفعت يدي عن المكروه وصنت نفسي عن المنكر »

. . . جلس شطرهان من بعد ما دافع عن نفسه هذا الدفاع دفاع المخذول الضعيف الحجة. وكان الاولى به ان يذكر الامر على حقيقته ويقتص مما اتهم به مجترئاً على الملكة ولكنهُ لو نس لذلت عنقهُ لفوره لان الجرأة على الملوك عقابها القتل العاجل. ثم شق على شطرهان أن يصارح الحضور الامر اجلالاً لذكرى الملك جيلباغ صاحب المنة عليه وعظيم أمله في الملكة إذ كان يعلم أنها تحبهُ الحب الشديد فكيف لها أن تأمر بقتله راضية

ولما جلس شطرهان عم الحضور سكوت طويل تشاور في أثنائه أعضاء المجلس. ثم نهض الرئيس ونادى « أيها الجمع لقد سمعتم مقالة المهرجاه وهي على ما رأيتم واهية السند واضحة البطلان. على انهُ حاول ان يخرج من تهمة ما أُخذ عليه مكابراً فلم يقدر. هذا وقد حكم عليه المجلس بعد امعان الرأى أن يُبقي في مقصورة الاقاصي والملكة عز سلطانها أن تبقي عليه او توافق على هذا الحكم عملاً بسنة أحكامنا العادلة »

فحوّل الحضور انظارهم فيما بين الملكة وبين شطرهان بعد ما جلس الرئيس لعلّهم يقدرون ما هو واقع . ثم ان الملكة وقفت واجالت طرفها في جنبات القاعة وتهيأت للفصل في حياة حبيبها أو هلاكه

***

من لي بمن ينبئني أي حكم ناطقة به هيدا وقد تضاعف بين جنبيها ذلك الحب الذي رغبت في طيّه فلان لها لناصيه كي ينتشر في اليوم التالي قويًّا متحماً ؟ . . . من لي بمن ينبئني أي حكم ناطقة به هيدا وأي الطبيعتين ظاهرة على الأخرى؟ أطبيعةُ الملكة المجبولة على البطش والعنف أم طبيعةُ الفتاة العاشق الدائمةُ الى اللين والرفق . وأي النفسيتين تغلب ؟ أترى النفسية الهندية المفطورةُ على الضغن المترعةُ بالانتقام أم نفسيّة المرأة بالأجمال وهي النفسية المملوءة رقةً ؟ . . . من لي بمن ينبئني أي حكم ناطقة به هيدا ؟ فإن خطر لها ان تعفو عن وزيرها مثل أمامها بنت رأس البراهمة وهي تسرع الى شطرهان وتقبل جفنيه وتأخذ برأسه بين يديها برّاقة العينين خفاقة القلب ثم تنطلق به الى المعبد . فأي شقاء يعدل شقاء هيدا وأي حسد يعدل حسدها وهي تبصر موكب الكهنة وتسمع أناشيد الصلاة وأغاني العرس وتستروح شذا الازهار المكللة رؤوس الحيين . . . هذا وان عرّض لها أن تحكم بالقتل على شطرهان هالها

منظره وقد وثبت عليه الافاعي في فخذيهنَّ من كل جانب فتململن عنيه ونهشنهُ ومزقنهُ اربا اربا وأقبلن يتقاسمن قلبهُ ذلك القلب الذي ودَّت هي لو فحت بحياتها في سبيل الاستئثار به . . . إذاً أين أنياب الافاعي قاذفة هيدا بحبيبها أم بين ذراعي عشيقه ؟

ظلت هيدا واقفةً ساعةً ناكسة البصر قلقة الخاطر . وبينما كان الحضور يتأملونها متعجبين لطول سكوتها إذا بها ضحكت ظهراً لبطن وركضت حول عرشها لامعة العينين متلهبة الوجنتين مضطربة الحركات . فاهتال الحضور وقالوا فيما بينهم انها لمسحورة . واما أعضاء المجلس فدهشوا للأمر . فخف الرئيس الى هيدا واخذ يدها في إجلال وعدل بها الى العرش واجلسها عليه من دون ان يحدثها . فلم تستقرَّ هيدا في عرشها بل وثبت وثبة النمر وقهقهت في وجه الرئيس وتناولت باحدى يديها أذنه اليسرى وتعلقت بها ثم شرعت ان تمضَّ مقدَّم أنفه فتباعد الرجل عنها وخلَّص أذنهُ من يدها بعد طول عناء . وكان الحضور واعضاء المجلس لا يدرون أيضحكون من الأمر ام يحزنون لهُ

ولكنها بعد ما انقضت فجأة الحادث عاد الرئيس وعضوان الى الملكة وانصرفوا بها الى حجرة كانت خلف التمثال وأما الحضور فظلوا في مقاعدهم يتحدثون في آن ويتساردون من حين الى حين أنْ قد جُنَّت الملكة . وبعد ساعة خرج الرئيس منفرداً ونادى بأعلى صوته : « أيها الجمع ان الملكة مكَّن براها سلطانها تشكو اضطراباً عصبيًّا ولكن الاطباء بين يديها يتدبرون علتها . واما شطرهان فقد نسب المجلس الى سحره ما اصاب الملكة فلا بدَّ من ان يهلك لانهُ لا تُعوَّض علة الملكة إلاَّ بأمر جليل الشأن واي امر اجل شأناً من هلاك المهرجاه أفأنتم راضون اجيبوا فان رضيتم قام حكمكم مقام حكم الملكة مسح براها ما بها »

هذا ما نادى به رئيس المجلس وقد فطن ان هيدا لن تحكم على شطرهان متى سلمت من علتها فخشي ان ينجو المهرجاه من الموت فبادر الحضور بندائه قبل ان تكرَّ الايام فيخفل الشعب ذنب شطرهان فيرفقون به ويهملون امره

ولما سمع الحضور هذا النداء حاروا في الجواب مضطربين فتبارقوا النظر وكلهم يستشير الآخر بنظره لان الشعب لا يستطيع ان ينشط بنفسه الى عمل كلهُ جرأة . ودونك الثورات فعاملها الشعب واما باعثها فنفر من طبقة غير طبقة الشعب . غير ان

هذا النداء بثّه في نفوس الحضور تلك الشهوة الخبيثة التي تحمل الانسان على الارتياح لرؤية الدم المسفوك وهي شهوة كامنة في الغالب بين ضلوع الشعب الهمج. ففي الحضور اليد التي أنخذها شطرهان عندهم ايام وزارته ونسوا رعايته إياهم ولم يلتفتوا إلاّ الى ذلك المنظر الرائع منظر الافاعي وهنّ يَنهشن رجلاً إعزل. فسرّوا بما بدا لهم من هذا المنظر وتمنوا لو يرونهُ رأي العين ولم يطيقوا ان انتقلوا بلا تروٍّ من الامنية الى الرغبة ولكنهم لم يجسروا على الاجهار بها. فأدرك الرئيس حالهم وايقن انهُ لا بد لها من محرك كما انهُ لا بد اليوم من محرك للدراجة او السيارة حتى تندفع فنادى فيهم: « ايهلك شطرهان احييوا » فشجع الحضور هذا النداء فتصاعدوا على الاجهار برغبتهم الشنيعة واندفعوا في حماسة حتى علت لهم شعلة اخذت في الوضوح الى ان انتهت في كلمة واحدة : الهلاك

الاّ انهُ لو خلا كل من الحضور بنفسهِ ما حَكَم على شطرهان. ولكنها الافراد إن اجتمعوا لغرض من الاغراض يفقد كلهم نفسيتهُ مع معظم هيئاتها إذ تتسرّب الى من حولهُ ثم تعود اليهِ مشوبةً مجسَّمةً لانَّ كل فرد تناول منها ما تناول وخلّف فيها من نفسيتهِ ما خلف وتلك النفسية هي نفسية الجمع ولتجمع روحه ونزعاته وعاداته ثم لهُ وجدان منزلك من وجدان الفرد منزلة الرأي العام من الرأي الخاص. ثم ان نفسية الجمع تمتاز بالاضطراب وتردد الرأي وبالحماسة مع اندفاع وثبور وبالسرعة في الانتقال من الفكرة الى العمل بلا تروٍّ ولا تقدير المسئولية قدرها

هذا ما يفسر لنا كيف حكم الحضور على شطرهان. ثم انهُ لما نادوا بالهلاك أشار الرئيس الى الجند أن انطلقوا بالمهرجاء ففعلوا والحضور ينظرون اليهم متعجبين بل آسفين كأنهم بنجوة مما حدث او كأنهم يقولون في نفوسهم كيف حكمنا على مثل هذا الرجل ونحن نجهل حقيقة ذنبهِ. غير ان بعض النسوة بكين شباب شطرهان وجمال وجههِ

***

... من لي بمن ينبئني اي حكم ناطقة بهِ هيدا لو لم يتسنّها طائف من الجنون وقلب المرأة مضطرب النزعات متلوّنها، غريب الاطوار عجيبها، بل كتاب مطويّ لم ينشره أحد بعدُ، وتيه ان تلمّس بعضنا السبيل بين جوانبه ضلّ لاول خطوة يخطوها

باريس (السوربون) ادوار فارس